Litrix.de
GERMAN LITERATURE ONLINE

-

مقتطفات مترجمة من كتاب

Norbert Gstrein
Das Handwerk des Tötens
Roman
Suhrkamp Verlag
Frankfurt am Main 2003
ISBN 3-518-41459-3

الصفحات: من 51 إلى 72

نوربرت جشتراين
حرفة القتل
رواية

ترجمة: فؤاد العواد

الإهداء إلى مراسل مجلة شترن الألمانية غابرييل غرونر (1963-1999)
الذي قتل أثناء الحرب اليوغسلافية:

"لا أعرف عن حياته وموته إلا القليل، أقلّ ما أستطيع عمله أن أسرد قصّته"

غريب أن باول احتفظ بمقالات الماير إلى هذا الوقت. وعندما قدمها أخيرا إليّ تصنّع عدم المبالاة. ولكني لم أصدّقه. كانت عبارة عن مجموعة كبيرة من الأوراق، كومة من مقالات الجرائد ونسخ مصورة عنها. وبدت خلال تصفحي الأولي لها مرتّبة ترتيبا دقيقا حسب تاريخ صدورها.

لاحظت أنه قد قرأها وصحح بها لأن بعض الملاحظات كانت مدوّنة على الهوامش. غير أنه كانت هناك خطوط بألوان مختلفة تحت بعض الأسطر حيث أبرزتها عن غيرها خاصة عندما زل لسانه وتحدث عن هذه الوثائق. بدا غير صبور، كما توقعت، عندما أخذت الوثائق بيدي وما أن مضت ثوان حتى تفوه بتعليق أعتقد أنه كان من الضروري له أن يبديه. "التحقيق الصحفي يبدأ بإطلاق النار على الحدود بين النمسا وسلوفانيا وينتهي في كوسوفو." قال هذا بصوت ممزوج وكأنه يخبرني خبرا خاصا أو إعلانا رسميا. "لقد مضت بالضبط ثماني سنوات على الحرب وسقط نحو مئات الألاف من القتلى."

لقد أرعبتني هذه الأرقام. لم يكن من الضروري عرضها بدقة بتلك التفاصيل. لقد كنت مهيأ لأسوء الأحوال عندما أشار بيده إلى الأوراق التي مازالت موضوعة على ركبتي، و تكلم بشكل مفاجئ وبصوت منخفض: "هذا كله أدّى إلى إنتهاء يوغوسلافيا."

عدا ذلك لقد كانت تلك المقالات تعكس حياة الماير الصحافية. أصبت بشئ من الدوخة، عندما تكلم باول عن الماير. لم يكن لديه أي خبرة صحافية غير التمرين العملي في جريدة أخرى ومن ثم مراسلته من مناطق الحرب والأزمات.

"لن تصدقني، إذا أخبرتك ما كان يود القيام به"، لم ينتظر سؤالي وأستطرد قائلا: "تستطيع أن تَصفني بأنني خيالي إذا قلت إن الماير كان كاتبا فقط." قلت بعفوية: إنه لم يفعل شيئا آخر غير الكتابة.

لم أنته من جملتي هذه حتى نظر إليّ كما لو أنني فهمته متعمدا خطأ لكي يبدي إحتجاجه لهذا. كان رده: "أنت تعرف ماذا أعني بالضبط. تريد أن تسمع هذا الكلام أم لا، لقد كان الماير أديبا."

بدا كأنه يمازح في تعليقه هذا، عدا عن ذلك أنني أكره هذه الكلمة وآخر ما أتصوره عن الماير بالذات أو أطلق عليه هذا اللقب. ولكن عندما أردت أن أعرف، كيف جاء إلى هذا العمل المضني والقذر. استخدم باول هذا التعبير "أن الماير كان أديبا" لكي يقنعني في التفكير به في هذا الاتجاه فقط.

هذا هو باول. وأنا عرفت، أن تصرفي كان صحيحا، عندما أبديت صمتي ونظرت فقط إليه، كيف كان يلوح بيديه ويلقي ضرباته في الهواء، كأنه يصارعا شخصا خفيا مدافعا عن سمعة وشرف صديقه.
"تستطيع أن تأخذ الموقف الذي تريده، إذا كنت تعتقد بأنك الأفضل"، قال لي وتابع الحديث سائلا: "أعطني فقط اسما واحدا من أسماء هؤلاء الصحافيين يأخذ كل هذا على عاتقه دون أن يشكو ويتأفف."
وعندما قال أنها لم تكن صدفة أن يقع هذه الواقعة وبالتحديد إبن فلاح من تيرول، مكثت صامتا حتى لا أرد على هذا الوصف المزخرف والمبهرج وعرفت للتو ولأول مرة أن خلفية هذا كله نقصه وعقدته كونه إبن ريف. هذا ما تحدثت به هيلينا مسبقا، عن رثائه لنفسه وشعوره بالظلم وعدم العدالة فقط لأنه ابن الريف. كل هذا عزز ضغينته وتصوراته العجيبة، كيف وماذا يكون الرجل.
"من هذه القردة اللماعة التي يعج بها قسم التحرير لن تستطيع أن ترسل واحدا إلى مناطق الحرب"،هكذا كان رأيه. "أغلبهم يركض من الخوف هاربا إلى بيته بعد سماع أول طلقة رصاص عدا عن أنه لا ينفع لأي شيء بعد ذلك."
كان ذلك ثرثرة وكلاما بلا منطق، لكنني تركته يواصل حديثه. يستطيع أن يرتب العالم كما يهوى، هذا لا يحرك مشاعري. ولم يخيب ظني به، لأنني لا أستطيع أن أتفهم آراءه. كنت فقط انتظر أن ينهي كلامه.
لم أعد أذكر بالضبط عما تحدّثنا. لكني أعرف أنه أراد أن يعبر عن نفسه ويقول أنه هو الذي لفت إنتباه المابر إلى كلية الصحافة في هامبورغ حيث درس الصحافة بعد انتهاء دراسته الأولى. كلامه كان يدل على مزيج من الشعور بالذنب حينا وبالفخر حينا آخر. وكأنه هو الذي شق له هذا الطريق. قلت في نفسي: "أنه طريق الهاوية."
"هذا الإقتراب المفاجئ منه والذي عرفته مرات سابقة"، قلت مخاطبا نفسي: " رغبتي أن أبني معه علاقة ولكنه سيهملها بالطبع إذا ذكرت له غرابة وتصلب آرائه." وأنا سأحاول من جديد التقرب إليه إلاّ أني في النهاية أمل وأتعب من هذا التكرار وأدعه وشأنه.

كان ينسب القصة لنفسه، فقد بدا ذلك واضحا عندما طلبت منه ترك المقالات التي كتبها المابر إلى اليوم التالي حتى أستطيع أن أصوَرها. كان يرغب أن يرفض ذلك من خلال رده مستفسرا لماذا. هنا أظهر علامات الخوف من جديد عندما وجد نفسه ملزما أن يعطي شيء منه. وعندما وافق على ترك المقالات

عندي، قطعت له عهدا بإعادتها له في اليوم التالي قبل انطلاقه إلى محطة القطار. خاصة أنه رقّم الصفحات بخط كبير مبالغ فيه وقام بتعدادها بصوت عال. رفعت ورقة النقود التي سقطت إلى الأرض من كومة الأوراق، أدرتها إليه ولوحت بها أمام وجهه. كانت ورقة الخمسمائة مليون دينار طبعت في ولاية كراجينا في الجمهورية الصربية. هذه الورقة النقدية كانت كالشبح، ليس فقط لكبر رقمها ولكن لأنها رمز نّياشين الحكومات المشئومة التي ما يعد لها وجود.

"ما هو رأيك، هل كانت الحرب من أجلها ؟"

سؤال ليس له معنى، عرفت ذلك قبل أن أطرحه. ولكن باول أخذ الورقة النقدية من يدي طواها ودسّها بجيبه ضحك وعلق وكأنه يجيب على سؤال في مسابقات تلفزيونية، بإيحاء يظهر فائق الاحترام للمذيع "كل ما يتمناه القلب." وتابع تعليقه: "بالظاهر كان بالإمكان الحصول على سمك بحري طازج في المناطق غير الساحلية أيام الحرب الملعونة إذا وجدت الواسطة الضرورية لذلك . لم أعر هذا الخبر أي اهتمام لأنني لم اعتبره جديا اكتفيت فقط بسؤالي فيما إذا كان مازال يحتفظ بهدية هيلينا الهزيلة.

كانت ابتسامته تظهر بعضا من الشماتة ولكنها أعطتني الجواب. تركته وخرجت باحثا عن مكان أستطيع أن أصور فيه تلك الأوراق ومن ثم أخذت الترومواي قاصدا منزلي في حي التونا في هامبورغ. في الترومواي بدأت بقراءة مقالات الماير. عندما وصلت إلى بيتي اتصلت بهيئة التحرير تليفونيا واعتذرت عن عدم قدومي إلى الدوام المسائي نيابة عن زميل آخر بحجة المرض. أحضرت إبريقا من القهوة وألقيت بجسدي على الأريكة وبدأت القراءة متعمقا وكان شعوري وكأنني في عالم يغلي من شدة العنف الذي سرده في كتاباته وأدركت أن أكثر الكوابيس بشاعة والتي كانت تأتيني في ليالي الطفولة لا تمثل شيئاً أمام هذه الحوادث المذكورة. عندما وصلت إلى الصفحة الأخيرة كان ضوء النهار يتلاشى خلف السحب المتناثرة في السماء. كنت غارقا في القراءة حيث أدركت فيما بعد أنني لم أسمع ضوضاء القطارات التي تمر قريبا من بيتي. وطاف بي الخيال إلى هيلينا وباغتتني تصورات عاطفية غير مجدية، أننا عشنا أيام الحرب معا ونجونا من مآسيها. ما أحلى الرجوع إليها كأن شيئا لم يكن.

ليس ما قرأته عن الحوادث الحربية الشنيعة التي كان شاهدها الماير أو سمع عنها هو الذي جعلني أضطرب وأرتبك وليس صور قرى البوسنة الخالية من البشر والتي بين بيوتها تتناثر جثث القتلى تمزقها الكلاب الشاردة بل الأمثلة الكثيرة العدد التي حصاها الماير وكيف أن إنسانا يمثل بجسد آخر. أن يجبر سجين على عض خصيتي زميل له وأكلها أمامه أو تفتح بطون الحوامل أو يذبح طفل بين ذراعي أمه وتلطيخ وجهها بدمه. وكيف تغتصب فتاة أمام أبويها. لقد ذكر أماكن عديدة أعرفها وأخرى لا أعرفها وقعت بها تلك الحوادث البشعة والمفزعة.
لا أحد يعرف مَن قتل مَن ولكن كانت هناك مناطق عرفت بفظاعة عنفها وكانت أكثر إجراما من غيرها. لا يوجد نهر لم يخضب به دم القتلى. لا يوجد مكان إلا واحتوى على كومة من الجثث المهترئة. وكلما قرأت ودققت أكثر في تقاريره، كلما بدت لي في النهاية أبشع الأعمال عادية. قد يبدو هذا للوهلة الأولى نوعا من السخرية لكن الصدمة كانت بالنسبة لي أكثر واقعية كلما قرأت عن الدبابات التي ما زالت محركاتها تدور في الثكنات العسكرية وما زال الصراع في بداياته وهي تهدر وتتوعد بالعنف وعن الزوارق الحربية التي جابت نهر الدانوب ذهابا وإيابا على الحدود الصربية الكرواتية وعن الغواصات عديمة الصوت التي بدت من خليج جيلبنك خلف الندى الصباحي قبل بدئها القصف. كان وصفه جميلا للطبيعة الخلابة في منطقة شهدت مذبحة قبل عام من ذهابه إليها. لو لم تكن هذه الطبيعة مليئة بعبوات الرصاص لقلت لا يوجد مكان آخر أن يكون الموت به أجمل من هذا المكان الذي يفوح منه عطر البيلسان، وعندما يكون الصيف في عنفوانه وبين أشجار الحور والزان أسمع صوت الزيز وخرير الماء من جدول صغير وبدا الوقت كأنه قد توقف عن المرور.
بعض الصور التي بقيت في مخيلتي كانت تُظهر شاحنة تبريد واقفة على حافة طريق بجانب حقل امتلأ بالقتلى. هذه شاحنة الهاربين من الحرب. ألوف بل مئات الألوف هربوا ناجين من الموت. تركوا كل ما لديهم وفروا. ما زال طعامهم على الطاولة وما زال الغسيل منشورا على الحبال. "إنهم أصحاب (البنسيونات) على مدى الساحل الذين لم يفد زبائنهم بعد"، قالت له امرأتان قابعتان بين الحطام تفركان الأيادي. إذا عادوا إلى ديارهم سوف

يشترون ثلاثة خنازير ويصنعون أفضل أنواع البسطرمة في دالماتيا. والأطفال الشاردون والمتسولون في اوباتيجا وفي أمكنة أخرى كانوا يتراكضون خلفه ويزدادون حماسا وولعا به كلما أعطاهم حفنة من الدنانير أو وزع عليهم قليلا من البسكويت.
في النهاية كانوا أعدادا كبيرة من الناس الذين قابلهم خلال السنين الماضية. أناس من مختلف الشرائح قصوا له حكاياتهم وأحلامهم. ضباط الجيش الذين استقبلوه في قصورهم بلباسهم المدني أو في الحقول القتالية بلباسهم العسكري والمزين بالنياشين لأعمالهم المخزية وتحدثوا مثل رؤساء عصابة أو زعماء ميليشيا وكأن الحرب صفقة تجارية. والمرتزقة الذين جاؤوا من كل أطراف أوروبا وحارب بعضهم مع جميع الأطراف المتصارعة وأشخاص آخرون كانت كلمة مغامرة بالنسبة إليهم وكانت تهبهم مزيدا من المتعة. لقد زار معسكرات الاعتقال الصربية والكرواتية وغيرها وتحدث مع السجناء وأدرك أنه لم يلق عليهم الأسئلة الصحيحة ولأن صمتهم كان أبلغ من أي كلام. هكذا كتب بلهجة المنابر. لم يتكلموا، فقط تجنبوا نظراته خجلا حيث التقى برجال بدوا مثل هيكل عظمي. إذ كانت تقاريره الصحافية مكتوبة لتناسب قراءه الجالسين في بيوتهم الذين لا يعرفون الهوادة. فانه قد توصل لما أراده حيث كان يبتعد عن الحقيقة بسرده الوقائع كما يهوى. إذ تحدث مع أول السائحين الذين جاؤوا كي يصطافوا بعد انتهاء الحرب إلى السواحل الدالماتية وجالوا بين القرى المدمّرة أو قاموا برحلة قصيرة إلى البوسنة وتنازلوا تواضعا منهم ليشرحوا ويوضحوا لسكان المنطقة، لماذا قتلوا وجرّحوا بعضهم البعض خاصة أن السبب كان أكثر من تافه.
أردت أن أسأل باول فيما إذا كان هو قد لاحظ أن أجزاء من مقالات الماير كانت سيئة الكتابة والمضمون وعندما التقيت به في صباح الغد أشار بالنفي القاطع.
"هذا كان مرتبط بتعليمات الصحيفة." وأردف قائلا. "إذا حاولت أن تراضي وتساير الكل، لا يتوافق هذا في النهاية مع حقيقة ما حصل." حاول بهذه الجملة أن يعطي مبررا لصديقه الماير.
"بعض الشيء يقع على عاتق المعلم." ظننت أنه يمزح فضحكت ولكنه كان مجدا في حديثه أكثر مما ظننت أو أردته أن يكون، لذلك اصغيت إليه حتى انتهى من كلامه.

" تُعلم المدرسة كل تلميذ وقح انه يجب تجنب تكرار الكلمات عند كتابة الموضوع الانشائي وذلك بأي وسيلة." وتابع حديثه قائلاً :"حيث يظهر فقهاء المرادفات اختراع التعابير الجديدة حتى يتجنبوا إعادة استعمال المصطلحات." في البدء فهمت بشكل صحيح ما قصده ، ولكن قبل أن يهم بالمغادرة تحدث من جديد عن الماير وكأنه أراد تحديداً أن يتكلم عما كان يجول في مخيلته؛ "كيف انه كان يتلفظ كلماته الجارحة بسرعة."وقد قال: "رغم إنها مبررة بعض الأحيان إلا أنها كارثة حقيقية إن كانت متعمدة أو كتبت عن طريق اللامبالاة وبدون إتقان." قبل رحيله بساعة من الوقت وخلال التقائنا في مقهى محطة القطار، حيث الزوار الكثيرون، قام باستعراض آخر أربعة أسابيع من حياة الماير وكان مندهشا أن الماير كان قد جال في كل مكان من المناطق المهجورة على حدود كوسوفو، بدءا من أحد المعسكرات حيث نقل هيلينا إلى أماكن مكتظة بالهاربين والفارين رغم أن الطيران الحربي والقاذفات ما زالت تحلق فوقها.

لقد حاولت أن أتخيله عندما شاهدته مرهقا من خلال الصور التي بدا فيها مع مصوريه والتي وجدت في سيارة المترجم الذي رافقهم التي وجدت في شارع خردقته القذائف. ورأيته في إحدى هذه الصور جالسا يتحدث مع مجموعة من المتمردين في بار الفندق الفخم الوحيد في تيرانا. ومن الواضح أنه كان غريبا بينهم. وكأنهم يشكون له همومهم والظلم الذي يعيشونه وتعاسة حياتهم عبر سنين مضت. وفجأة ثارت ثائرتهم ولوحوا بأيديهم في الهواء وبدوا كأنهم يهددونه وخاصة بزيهم الحربي ونسر اسود ذو راسين ملصوق على أكمامهم بخلفية حمراء. وتصوري له وكأنه تائه يجول أحد موانئ جنوب البانيا، يراقب الناس وهم يتدافعون من محطة القطار دون هدف في كل الاتجاهات وكأنهم يتوزعون في المدينة حسب قاعدة علمية.

كان ظني أنه أدرك أو على الأقل كان شعوره مسبقا أنه لا جدوى لوجوده هناك، أي أن وجوده كان في المكان والزمان غير المناسبين، حيث لقي حتفه.

وكما قال باول، أنه كان يشعر مسبقا أنه في المكان والزمان اللذين سيوديان به إلى الهاوية، ولحظة توقفه عن التفكير بحياته لقي مصرعه.

النقاش حول ما حصل غير مجد. طلبت منه أن يتوقف عن الحديث والأفضل أن يوضح لي، بأي معيار قيّم وحدّد الماير أهمية بعض النقاط في مقالاته الموجودة أمامنا على الطاولة. "لا أستطيع أن أعطيك جوابا"، وتابع الحديث: "ما يهمني هو وجود هذه المقالات وليس تقييم بعض النقاط فيها وإعطائها دورا أكبر عن غيرها." حسب رأيه كان وجود الماير كمراسل في حرب البلقان مجديا لسببين، "مقابلته مع مقاتل من الجبهة الأمامية وقصة الشاب الألباني الذي هوجم من الخلف بإطلاق النار عليه." يقول هذا وكأنه واثق من المعلومات منذ زمن طويل وتابع حديثه: "ربما تعتقد أن هذا الكلام مبالغ فيه ولكن إذا عرفت كيف ُقتل الماير تظن على الأقل أن الاثنين لهما نفس المصير." في الحقيقة قد يكون مقتل الاثنين ورغم اختلاف الزمن والمكان بينهما له علاقة مع بعضهما البعض وخاصة بعد وصفه لمجرم من كوسوفو في المقالة التي كتبها في بداية السنة والمقابلة التي أجراها مع جزار الحرب الكرواتي، وبدت مثل لعبة السؤال والجواب التي اشتهرت فيما بعد.

لقد قرأت في الأمس في الجريدة عن مقتل شاب وجد غارقا في دمه، ومرميا على قارعة الطريق. لم يفارقني التفكير به حتى صباح اليوم التالي حيث بدت جروحه في بطنه وصدره. وأثناء تصفحي الجريدة قرأت مقالة حول مقتل الماير حيث قيل أنه أطلق عليه النار من على بعد أكثر من مئة متر منه وتشتتت أشلاؤه. إذ كنا نعتقد بالغيب نستطيع القول أنه جر نفسه وراء هاويته ومصيره الحزين. أعرف أن تحليلي هذا غباء مني ولكني كنت على يقين بشعوره بإقتراب نهايته .

لكن باول كان مصرا على أظهار المقابلة التي أجراها الماير بالقرب من فنكوفجي في السنة الأولى من الحرب قبل أيام قليلة من عيد الميلاد والتي اقشعرّ بدني منها كلما كررت قراءتها. هل كان باستطاعته أن يتحدث إلى قاتله ويسأله عن شعوره عندما يصوب بندقيته اتجاه أي شخص. "لقد كان الماير غير راغب في إجراء المقابلة." حيث سرقت أشياؤه بعد ذلك.

نظرت إليه بشيء من التشكك وتابع الحديث: "لا أعتقد أنه جر نفسه وراء هاويته حتى بأي ثمن من الأثمان." هذا الجواب كان سطحيا بالنسبة لي، لذلك كان ردّي عليه: "من الممكن أنه أخذ

الأمور بلا مبالاة ولم يدرك أن عمله سيكلفه حياته ولم يفكر أنه مستعد من أجل قصة جيدة تقديم كل شيء كما كانت نهايته."

لقد سعى وراء ترخيص للدخول إلى مناطق القتال الأمامية قرب الحدود الصربية دون علم المترجمين المرافقين له أثناء الحرب." أعتقد أنه تخيل المشهد المأساوي حين قام بوصف مجموعة من البيوت والنوافذ المحطمة وبعض الأشجار العارية والمحروقة بجانب حقل الذرة الذي كانت تغطيه طبقة من الثلج. وكان منظر الورود الذابلة بجانب سيارة محروقة ومقلوبة على الظهر وخلفها أكياس الرمل التي كان يستعملها المحاربون كدروع. والسماء كانت مقتضبة.

وللمرة الأولى أظهر شعوره بالكآبة والضغط النفسي يحاصره لشعوره بوحدته وغربته في هذه اللحظة رغم أنه جال في الليلة الماضية في المقاهي مع صديقته الزغربية. وفي لحظة ما داهمته صدمة عندما هام به التفكير: أن هناك بعد مرحلة الطفولة مرحلة انتقالية أخرى بين مرحلة الشباب وأخرى تستثني البعض من مراحل التطور الإنساني. هكذا بدا مشدوها عندما كان جالسا مع مجموعة من الرجال الغرباء حول الموقد في بيت ليس له سقف وكان أحدهم يقوم بدور الحراسة حيث يذهب ويجيء محني الرأس في خندق حتى لا يلمحه أحد من الطرف الآخر. رغم هذا كان أزير الرصاص يدوي بين الحين والآخر في السماء. وبعد لحظة سمع صوت شاب يصرخ في هاتفه" " ألو، كيف الأحوال؟" بهذه اللحظة جال به التفكير، أن المرابطين على الطرف الآخر هم جيرانه وزملاء عمله وكم مرة ذهب مع بعضهم للسباحة في نهر الدانوب أو لعبوا كرة القدم أو تزاوجوا من بعضهم البعض وأقاموا الحفلات ولكن كان صراخ المرابط على الجهة الثانية قد ارتفع أكثر وهذا ما أزعجه فأخذ بإطلاق النار حتى أفرغ مخزنه.

إعتقدت أن هذا اللقاء ليس بالضرورة أن تكون له جدوى؛ فحديثه مع رئيس المجموعة لم يفضي له بأي معلومات جديدة غير أنه كان يندم على فعلته بعد إطلاق النار على الآخرين ويحاول أن يمحي هذه الحوادث من ذاكرته ولكنه لا يبرح أن يقوم بنفس العمل من جديد وكأنه نسي ندمه وربما يتوقف عن القتل ودور القاتل بعدما يجمع رؤوس الضحايا من حوله كحبات مسبحته. وما الفرق بين هذا وبين قصة فتاة صغيرة كانت في البداية تخلع ثيابها من أجل

حفنة قليلة من النقود ومن ثم أصبحت غانية محترفة وكأنها ولدت لهذا العمل.
فهذه المقارنة كانت واضحة المعنى ورغم ذلك أجهد باول نفسه حين وصف كيف استعمل منظار بندقيته الحربية للمرة الأولى، حيث أسند البندقية على سقف سيارته وراح يراقب من خلال هذا المنظار ثلاثة غزلان كانت ترعى في الطرف الأخر للوادي وأعتبر فيما بعد هذه الحادثة واقعة فاحشة وكأنها خطيئة من الخطايا الكبرى.
لم أفهم ما كان يقصده باول لان ما قاله ظهر للوهلة الأولى مخالفا للمنطق بمقارنته بين قصته هذه التي شكلت له صدمة فيما بعد وبين قصة الفتاة ورئيس مجموعة المتمردين وتفاجئ باستنتاجه أن الجنة لم تبقى جنة لأنها لا تترك على حالها كما خلقها الرب وأرادها في البداية.
لاحظت بسرعة كم كان معجباً بنفسه وخاصة عندما شبك يديه خلف رأسه جالساً على كرسي بجدية منتظراً مني أن ابدي إعجابي به أو على الأقل أن أطلب منه إنهاء كلامه الفارغ. ولكن بعدما أدرك عدم اهتمامي بما قاله همس بشيء لم افهمه ورمقني بنظرة غريبة تجنبتها عندما مددت يدي آخذاً مقالات الماير أتصفحها من جديد حيث كانت تجمع بعض الصور التي تمعنت بها بشكل مكثف حين بدا لي بإحدى الصور رجل عريض المنكبين يقف أمام بيت مزقته القذائف وبندقيته تحت إبطه والغرابة في هذه الصورة أن وجه هذا الرجل كان مخفيا خلف دخان سيجارته وكان هادئ الوقفة معتمراً قبعة متزلجي الثلج، عدا قفازاته النصفية وسترته الجلدية وبنطاله الواسع البالي المندس في حذائه وبهذا كله اختلف عن بقية زملائه المقاتلين الذين كانوا يرتدون بدلات وأحذية رياضية إضافة إلى نظارات شمسية موضوعة على الرأس، حيث لم يبق للمشاهد إلا أن يسخر من هذا المنظر ولكن بدا لي وكأن حرفة القتل موروثة وعمرها أكثر من ألف عام.
في هذه اللحظة جال في مخيلتي السؤال، الذي طرحته على باول، كيف كان حديث الماير مع هذه المجموعة وخاصة مع زعيمها؟ "إنها مقابلة جيدة"، وتابع حديثه بصوت أجش، "يجب علي أن أعرف خلفية ومحيط ما حصل." لتزويد روايته بالمعلومات الكافية، تركته يتكلم دون أن أقاطعه ولكن إصراره كان مبهما لكثرة

تكراره الحديث حول نقاط غير مفهومة وتحاليله البعيدة كل البعد عن الواقع.
لم أكن راضيا عن سرد باول للوقائع أثناء الحرب لأنه كان يحاول دائما تجميل الأحداث وربما قام باختراع شخصية امرأة تاهت في أهوال الحرب ومن الأفضل أن تكون أمريكية الجنسية كي يستطيع أن يحول من خلال تواجدها في البلقان أخبار الحرب الحزينة إلى قصص مثيرة تبهر الأنظار.
أعرف أن ما قلته عن باول هذا ليس عادلا ولكن سرد روايته وربط مقتل الماير في كوسوفو بالمقابلة التي أجراها. كل هذا أدخله في متاهات وجر نفسه خلف نظريات وتحاليل بعيدة كل البعد عن الواقع وخاصة أنه أعتقد أنه سيقابل شخصا ما يكون شاهدا على مقتل الماير. ربما يريد تركيب الحادثة كما يريد سردها في روايته ولأنه لا أمل في معرفة الحقيقة.
وفي إحدى المقالات كتب الماير عن عملية تبادل أسرى الحرب، مرفقة بصورة توضح العكس من ما يكتب عنه. على كل الأحوال لم تكن مقالة الماير بهذا الخصوص واضحة وخاصة أنه أنهى كتابته بشكل مفاجئ حيث كتب أنه لم ير أي شيء، فقط سمع ثلاث طلقات متتالية. وهذا ما جعلني أحكم على كتابته بأنها عشوائية وربما أيضا غير مجدية.
باول كان غير مسرور لما قلته ولكنه بقي هادئا وأظهر سخريته من خلال نظرته إليّ.
"لا بد من وجود توضيحات أخرى حول كل ما حدث." هكذا كان رده عليّ وتابع الحديث، "مقالة الماير هي بمثابة بداية مهمة نستطيع أن نبني عليها الكثير."